

ألف حكاية وحكاية (٨٠)

لوحة أخبار لسن الخامسة

وحكايات أخرى

تأليف

يعقوب الشارونى



رسوم

عادل البطراوى

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقى
الفجالة - القاهرة

الحياة هي المعلم الأول

في دار حضانة كبيرة في نيويورك، وجدتُ الأطفال سعداء
يضحكون. وعندما بحثتُ عن السر، أشارت المشرفات إلى لوحة
كبيرة على الحائط. قرأتُ عليها ما يلي:

"إذا عاشَ الطفلُ تلاحقَ
الانتقاداتُ، سيتعلَّمُ البحثُ عن
أخطاءِ الآخرين. أما إذا عاشَ
مُستمتعًا بالتشجيعِ، سيتعلَّمُ كيف
يمدحُ مزايا الآخرين."



"وَإِذَا عَاشَ الْوَلَدُ تَحِيَّاتُ بِهِ
الْخُصُومَاتُ وَالْعِدَاوَاتُ ، سَيَتَعَلَّمُ
الْعِدْوَانَ . أَمَّا إِذَا عَاشَ مَعَ التَّسَامُحِ
وَالْتَحَمَلِ ، سَيَتَعَلَّمُ الصَّبْرَ وَالْمُرُونَةَ ."



"وَإِذَا عَاشَ الطِّفْلُ هَدَفًا
لِسُخْرِيَةِ الْآخَرِينَ مِنْهُ ، سَيَتَعَلَّمُ
الْخَجَلَ وَالْانْطِوَاعَ . أَمَّا إِذَا عَاشَ
مُحَاطًا بِالتَّشْجِيعِ ، سَيَتَعَلَّمُ الثَّقَلَ
بِالنَّفْسِ ."



"وإذا عاشَ الطفلُ متهمًا بأنه
سببٌ للخزي والعار ، سيتعلمُ
الإحساسَ بالذنب. أما إذا عاشَ مع
المدحِ واستحسانِ شخصيته
وتصرفاته ، سيتعلمُ كيف يحترمُ نفسه
ويقدرُ ذاته. "



"وإذا عاشَ الطفلُ مع
المساواة وعدم التحيز ، سيتعلمُ
العدالة. "



"وإذا عاشَ مستمتعًا بالأمان ،
سيتعلمُ الثقة بالآخرين. "



"وإذا عاشَ مع الصداقة
واحترام الآخرين له ، سيتعلمُ كيف
يجدُ الحب في الحياة. "



عندئذٍ ابتسمتُ أنا أيضًا ، وانطلقتُ في سعادةٍ أشاركُ الأطفالَ

الغائبين.

لوحة أخبار لسن الخامسة

فى روضة أطفال بنيويورك ، راقبتُ طفلاً فى الخامسة من عمره ، ما إن دخلَ غرفة الفصل ، حتى اندفعَ نحو معلمته ، يحكى لها فى حماسٍ قائلاً: "جدىّ جاء أمس إلى بيتنا لزيارتنا.. لقد سافرَ إلينا بالقطار."

لوحة الأخبار

وفى اهتمامٍ قالت له المعلمة: "هذا خبرٌ مهمٌ ، يمكنُ أن نكتبهُ فى لوحة الأخبار." وأمسكتُ بقلمٍ أحمر ، وطلبتُ من الطفل أن يُملئَ عليها الحكايةَ كلمةً كلمةً ، وهى تكتبُ على مساحةٍ من الورق الأبيض المعلق على أحد الجدران.



ثم طلبت من الصبي أن يرسم رسمًا يعبر عن حكايته. وبعد قليل، ثبتت المعلمة الرسم بجوار خبر الحكاية. وعندما اكتمل حضور أطفال الروضة، قالت المعلمة لهم: "عندنا اليوم خبر جديد"، أبلغني به زميلكم ديفيد، وقد "كتبناه" في لوحة الأخبار. هيّا يا ديفيد، "اقرأ" لنا الخبر. ووقف ديفيد "يحكي"، وهو يستعيد من ذاكرته كلماته وعباراته.

والتفت المعلمة بناحيتي وقالت: "هذا تشجيع للأطفال ليعبروا عن خبراتهم بالكلمات والرسم، مع تنمية ثقتهم بأنفسهم. وهو تدريب ليعيدوا استخدام نفس الكلمات حتى تصبح ضمن قاموسهم اللغوي المنطوق. كما أن فيه تنمية لمهارات ما قبل القراءة، عندما يعتاد الطفل أن يُعيد التعبير بوضوح عما سبق أن قرأه."



أمي عندما تشرح لي بهدوء !!

أنا لا أقصد أن أسبّب "زعل" لماما ، لكنني أنسى أحيانا بعض الأشياء. ذات مرة نسيت حنفية الحوض مفتوحة ، بعد أن غسلت وجهي ، زعقت أمي قائلة لي:

"أنت لا تعرف معنى المسؤولية.. دائما تفتح الحنفية ثم تتركها مفتوحة. أنت تريد أن تتسبب في غرق الشقة كلها."

والحقيقة أنني في معظم الأحيان أقفل الحنفية ، وإن كنت أنساها في مرات قليلة.

كأنت كلمات أمي تدور كلها حول الخطأ الذي ارتكبته ، لكنها لم تحدثني عن الصواب الذي يمكن أن أقوم به.

ولأنني كنت أشعر بالخوف والاضطراب من طريقة حديث أمي ، فقد انحصرت تفكيري في التصرف الذي اعتبرته أمي خطأ متعمداً مني ، فلم أستطع التفكير في الصواب الذي يجب أن أقوم به!



كنت أنتظر من أمي أن تقول لي: "انظر يا تامر .. الماء مازال
الحوض ، وبعد قليل سينزل إلى الأرض ويغرق الشقة."



لو أن أمي قالت لي هذه العبارة بهدوء ، لكان من الأسهل أن
أناقش مع نفسي الخطأ الذي ارتكبته ، وأن أهتمدي بنفسي إلى
الصواب الذي يجب أن أقوم به.
إن أمي عندما تشرح لي الموقف بهدوء ، تجعلني أفكر فيما
فعلت ، وفي النتائج التي ترتبت على تصرفي ، وهذا يساعدهني على
أن أتذكر الصواب في المرات القادمة.

لن أكون "شاطرة" أبدًا !!

قالت الخالة زينب بلهجة أقرب إلى الأمر منها إلى الحنان:

"تعالى يا دعاء اجلسى بجوارى."

وأطاعتها ابنة أختها التى لم يكن عمرها يزيد عن ثلاث

سنوات ، وتركت قطع الصورة المجرأة (البازل) التى كانت تربيها

فى سرعة ومهارة.



قالت الخالة: "هيا نلعب لعبة الألوان .. هل يمكن الإشارة
إلى شيئين لونها أحمر؟"

وأشارت دعاء إلى غطاء الكنية البرتقالي ، وفستانها القرمزي .
هنا ظهرت تكشيرة على وجه الخالة ، وصاحت: "يا خديجة ..
طفلك الثانية هذه لا تعرف الألوان . أتذكر أن أختها رانيا كانت
تميز الألوان وعمرها سنتان . هل تعرف دعاء هذه شيئاً عن حروف
الألف باء؟"

قالت الأم مدافعة عن ابنتها الصغرى:
"دعاء عادية جداً . ربما لا تكون في مثل
شطارة رانيا ، لكن رانيا كانت دائماً متقدمة عن
بقية الأطفال . أمّا دعاء فتصرف مثل كل الذين
في سنّها ."

قالت دعاء لنفسها وقد فقدت حماسها
للعودة إلى قطع البازل: "أنا لن أكون شاطرة
أبداً مثل أختي رانيا ."

أما الأخت الكبرى رانيا التي سمعت كل
هذا الحديث ، فقد قالت لنفسها: "أنا أشطر من
كل الآخرين ."

ونسيت أنها لم تنجح ولا مرة في ترتيب
قطع "البازل" !!



هل تسمعني يا بابا؟!

كان الأب يراقب برنامجاً على شاشة التلفزيون ، عندما دخل
ابنه مروان ، وعمره خمس سنوات ، قادماً من مدرسة الروضة ، وتقدّم
إلى والده قائلاً ودموعه في عينيه: "عاطف زميلي ضربني .. هل
تسمعني يا بابا؟"



ثم أمسك مروان بذراع والده ليتأكد أنه جذب انتباهه ،
وأكمل قصته: "لذلك ضربته أنا أيضاً .. لكنه ضربني ثانية ضربة أشد..
هل تسمعني يا بابا؟"

عندئذ قال الوالد وهو يركّز سمعه وبصره على شاشة
التلفزيون: "لقد سمعت كل كلمة.."

لكن مروان صاح مُحبطاً: "لا .. أنت لم تسمعني ، ولن أحكى
شيئاً بعد الآن!"

وأحسَّت والدَةُ مروانَ بما أصابَ ابنَها ، فاقترَبَتْ منه ، وأخذَتْهُ
مَعَهَا بَعِيدًا تَمَامًا عَنِ التِّلْفُزِیُونِ ، وَقَالَتْ لَهُ فِی تَعاطُفٍ وَاهْتِمَامٍ: "لَقَدْ
اشْتَكَيْتَ لِي مَرَاتٍ كَثِيرَةً مِنْ عَاطِفٍ هَذَا .. هَلْ عِنْدَكَ طَرِيقَةٌ
لِنَسْتَرِیحَ مِنْ أَذَاهِ؟"

وَفِی الْحَالِ ، انْدَفَعَ مَرْوَانُ الصَّغِيرُ یَقُولُ: "هَلْ تَعْرِفِینِ یَا مَامَا
مَاذَا سَأَفْعَلُ؟ سَأَلْعَبُ مَعَ حَسَامٍ .. إِنَّهُ لَا یَضْرِبُ أَحَدًا!!"



هَنا ابْتَسَمَتِ الْأُمُّ وَهِيَ تَهْمِسُ إِلَى نَفْسِهَا: "عِنْدَمَا أَصْغَيْتُ
بِاهْتِمَامٍ حَقِیقِیٍّ إِلَى مَتَاعِبِ ابْنِی ، اسْتَرَاخَ بَعْدَ أَنْ أَفْرَغَ كُلُّ مَا بِنَفْسِهِ
أَمَامِی ، بَلْ اسْتَطَاعَ أَنْ یَجِدَ بِنَفْسِهِ الطَّرِیقَ السَّلِیمَ لِحَلِّ مُشْکَلَتِهِ!"

البرج ارتفع كثيراً

على مقعدٍ أمامَ مائدةِ الطعامِ الخاليةِ ، جلستِ الصغيرةُ التي تجاوزَ عمرُها السنواتِ الثلاثَ بشهورٍ قليلةٍ ، تبني بالقطعِ الخشبيةِ تكوينًا كأنه البرجُ . وكم كانت سعيدةً بإنجازها ، لأن القطعَ استقرتْ في مكانها فوقَ بعضها ، ولم تسقطْ كما كان يحدثُ عندما كانت تبنيها وهي أصغرُ سنًا .



ودخلت الأم الغرفة ، وتأهبت الصغيرة أن تقول لأمها في

فخر: "انظري يا ماما .. البرج ارتفع كثيراً.."

لكن الأم لم تعطِ الصغيرة أية فرصة لتقول شيئاً ، بل صاحت

بها في تأنيب:

"ألم تسمعي ما قلته لك منذ قليل؟! هذا وقت ترتيب البيت ،

وأنت تشغلين المائدة بألعابك؟ هيا أبعدى كل قطع الخشبية هذه

من هنا!!"

كانت الصغيرة تتوقع من أمها أن تقول

لها في سعادة ، بغير تهديد أو أوامر: "يالله من

برج عال! وأنت طبعاً لا تريدين أن يقع ،

لذلك من الأفضل أن تنقليه إلى غرفتك ، أو

تضعي القطع الخشبية في صندوقها."

لكن الأم قالت شيئاً مختلفاً ، وبطريقة

مختلفة ، وهي لا تدري مقدار الإحباط الذي

أثارتُه كلماتها في نفس ابنتها.

هذا أحد المواقف التي شاهدتها في

برنامج تلفزيوني في أمريكا ، مُخصّص لتدريب

الآباء والأمهات على الأساليب السليمة للحوار

مع الأبناء.



القذوة التي أمامهم !!

عندما كنتُ أقومُ بمراجعة أوراقِ إجابة امتحاناتِ طالباتي بالدراساتِ العليا بكلية رياض الأطفال بالإسكندرية ، في مادة "أدب الأطفال" ، استوقفتني الحكاية التالية في إحدى الأوراق ، أنقلها هنا كما قرأتها:

"هذه تجربة شخصية حدثت لي ،
وقد كنتُ أعملُ مدرسةً للتربية الرياضية
لبنات المرحلة الإعدادية ، وكنا في شهر
رمضان ، وموعدُ حصتي لطالباتِ الفرقة
الثالثة في وقتٍ تشتدُّ فيه حرارة الشمسِ ،
لذلك طلبتُ مني الطالباتُ أن أترك لهن
الحرية في التحرك في الملعب دون تقييدٍ
بلعبة معينة."



"وعندما استجبتُ لهن ، فوجئتُ بأن اللعبة التي اختارتها البنات ، بدأت بأن خلعتُ كلُّ منهن ربطة العنق الخاصة بها ، وربطتها على عينيها ، ثم قُمنَ بتمثيل شخصيات "النينجا" بكلِّ ما فيها من عنف."

ثم تكتبُ طالبةُ الدراسات العليا قائلةً: "وإذا كان هذا هو الحال بالنسبة إلى البنات وفي هذه السن ، فماذا يكون الحال بالنسبة إلى الأولاد، خاصةً في السن الصغيرة ، عندما يجدون مثل هذه القدوة هي الموجودة أمامهم ؟!"

ثم تضيفُ: "وقد بدأت بعضُ مصانع لعب الأطفال في تصنيع سيوفٍ من البلاستيك للأطفال ، تُباع في كلِّ مكان ، بل ويطلبها حتى الأطفال الذين يتميزون بالهدوء نسبيًا ، ليمارسوا فيما بينهم ألعاب العنف."

وليس هناك ما نضيفهُ إلى هذه الشهادة الواقعية ، بكلِّ ما فيها من مرارةٍ وعتابٍ.



لأنها لا تعرف موهبته الحقيقية

ذهبتِ الصحفية الشابة إلى مدرسة الروضة ، واختارت صبيًا
عمره أربع سنوات ، لتلتقط له صورة تنشرها مع موضوع كتبتُه عن
أساليب معاملة الكبار للأطفال.

قالت المعلمة وهي تُشير إلى الصبي: "من الطبيعي أن
تختاريه ، فهو جذاب الشكل جدًا ، لكنه متأخر كثيرًا عن بقية
الأطفال. إنه يحب التلوين ، لكن خطوطه ليست إلا مجرد شخبطة
وليست رسومًا."

قالت الصحفية: "لابد أنه سيتقدم بمضي الوقت."

فأضافت المعلمة والصغير لا يزال بينهما ، كأنه تمثال من
الرخام لا يسمع ولا يفهم: "المفروض أن يحدث هذا ، لكنني لا أظن
أن هذا الولد سوف يتحسن أبدًا."

ونظر الصبي إلى قلمه الملون الذي في يده ، ثم رماه على
الأرض. وجلس وحده بقية اليوم ، يهز رأسه كلما طلب منه أصدقاؤه
أن يلعب معهم.

وعندما قال لأمه إنه لا يريد الذهاب بعد اليوم إلى المدرسة ،
تصوّرت أنه قد تشاجر مع طفلٍ آخر ، لكنها لم تلاحظ أنه أصبح لا
يستخدم أقلام الألوان التي كان يحبها ، وأنه أصبح صامتًا بعد أن
كان يملأ البيت بضحكاته وبالموسيقى التي كان يعزفها بمهارة على
"الأورج" الصغير !!.

